نساء يصفن الرجال

تأليف
محمد متولى الصباغ

مكتبة جزيرة الورد بالمنصورة

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

مكتبة جزيرة الورد بالمنصورة

تقاطع ش عبد السلام عارف مع شارع الهادى

تليفون: ٣٥٧٨٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

اعلم أيها القارئ الكريم أن الذى حملنى على الخوض فى هذا الجانب، بواعث إنسانية كان لها فى نفسى أعمق الأثر من جراء ما شهدته وسمعته وقرأته عن الزيجات ذات العبر والمآسى التى تجرى على مسرح الحياة الزوجية، مما يُدهَش له الإنسان من العجائب والغرائب وفى اعتقادى أن الزواج لا يمكن أن يمارس على وجهه الصحيح، إلا بعد فهمه وإدراكه وفهم حقيقته وما يتعلق به من شروط وحقوق وواجبات يجب الإلمام بها حتى لا يتخبط كل من الزوجين من الوقوع فى كثير من الأخطاء والمحظورات التى نهت عنها الشريعة الإسلامية، وأيضاً تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة عند ذوى الفهم السقيم، وهى فى نظر الشريعة الإسلامية صحيحة، فمن المفاهيم الأولية للزوجية السكن فالسكن من السكون والسكون ضد الاضطراب والاضطراب إنما يكون فى الجسد والنفس والعقل، والزوجية شرعت أساساً لسكون الكيان الإنسانى من الاضطراب والهوس الاكتئابى الناشئ عن الحرمان أو النقص، ولا يكون ذلك إلا بالأداء الجنسى الكامل بين زوجين يحب كل منهما الآخر.

*** وزيادة فى الإيضاح ضع فى اعتبارك ما يلى:**

١ - كيف يصفن النساء الرجال وبأى صورة تصفن كل امرأة زوجها؟

٢ - كيف تعالج العيوب النسائية التى تنتهى إلى الطلاق أو اتخاذ الخيلات؟

٣ - كيف تهدم المرأة هذا السكن على جهل وعلى غباء؟

٤ - كيف تكون المرأة لباساً للرجل والرجل لباساً للمرأة؟

٥ - كيف يمزق الجهل هذا اللباس، ويحيله إلى خرقة بالية تفضح ما وراءها ولا تستر المستجير بها؟

٦ - كيف تنحصر عين الرجل وعاطفته فى واحدة، وتنحصر عين المرأة فى واحد؟

٧ ـ ما هى العيوب الجنسية التى يمكن أن تقضى على الحياة الزوجية عند كل من الرجل والمرأة؟

٨ ـ هل يعتبر الجهل بأصول العلاقة الجنسية الإسلامية بين الأزواج وراء التهتك والبغاء تحت ستار الزوجية ووراء بدعة الرفيقة والرفيق إلى جوار الزوجة والزوج؟

٩ ـ ما هى أبعاد السكن الذى شرع من أجله الزواج؟

١٠ ـ هل أخطأ الإسلام حينما أجاب السائلين وأرشد الحائرين فى دقائق هذه العلاقة التى يقوم عليها بناء الزوجية؟

كل ذلك من الأسئلة ستجد إجابتها حينما تتصفح هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

المؤلف

محمد متولى الصياغ

*****

نساء يصفن الرجال

وحديث أم زرع

أيها القارئ الكريم . . . ، إن اختيار العشير من أعظم الأمور خطراً فى حياة الرجل والمرأة، فإن هذا العقد هو عقد الحياة، ومن وفقه الله تعالى فيه، كان له حظ الدنيا والآخرة، ومن لم يوفقه فيه، ناله الشقاء إلى أن يرحمه الله. ولذلك كان لابد من العناية باختيار العشير، والخضوع فى اختياره لحكم العقل والدين، لالحكم الهوى، وإن الأرواح جنود مجندة، ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف، وأن الرجل والمرأة، كل منهما كنصفى دائرة، كل نصف يسبح فى هذا الوجود، حتى يلتقى بتوفيق الله بالنصف الذى يلائمه، ويتحد قطرهما، فيتكون منهما دائرة كاملة، وتلك هى دائرة الأسرة التى تكون دعامتها الحياة الزوجية، التى أرادها الله تبارك وتعالى.

وأنه فى سبيل اختيار الزوج الأمثل الذى ترجى معه عشرة صالحة يقطعان بها هذه الحياة الدنيا فى هدوء واطمئنان، وإرضاء لله تعالى. ولقد سن الإسلام نُظماً محكمة تمنع الشطط فى الاختيار، وتمنع أن يكون الاختيار لأسباب وقتية سريعة الزوال، ومع زوالها يكون انحلال الحياة الزوجية.

إن البواعث الحسية سريعة الزوال، فمن تختار زوجاً لجماله الجسمى من غير ملاحظة الجانب المعنوى من حسن الطباع وقوة الأخلاق تكون حياتها الزوجية عرضة للاضطراب ووراء الاضطراب، انحلال الحياة الزوجية، وكذلك من يختار زوجته ملاحظاً فيها الجانب الحسى من غير ملاحظة الجانب المعنوى، يجعل الحياة الزوجية عرضة للزوال، وذلك لأن الإعجاب الحسى قد ينتهى، أما النواحى المعنوية، فإن الإعجاب بها يتجدد، بتجدد الزمان.

ومن هذا المفهوم، تتوفر عوامل السكينة والمودة والرحمة، التى هى الحكمة البالغة، للحياة الزوجية. وإليك أيها القارئ الكريم هذا الحديث الذى رواه الإمام

البخارى، ومسلم والنسائى رضى الله عنهم أجمعين، وهذا الحديث يوضح معنى ما قصدناه من عناية ودقة فى اختيار العشير. فالحديث يشير إلى أن كل امرأة من الاحدى عشرة تصف حياتها مع زوجها، فمن وفقت منهن فى اختيار العشير تصف معاشرة زوجها بكل مودة ورحمة ووفاء، ومن لم توفق منهن تصف معاشرة زوجها إما بالعنف أو القسوة أو الإهمال أو الضياع كما هو واضح فى الحديث.

وإليك أيها القارئ الكريم، نص الحديث واسمه «حديث أم زرع».

*****

حَيث أم زرع *

عن عائشة قَالَتْ: «جَلَسَ إحدْى عَشْرَةَ امرأة فَتَعَاهَدْنَ.[١] وتَعَاقَدْن أنْ لاَ يَكْتُمْن مِنْ أخبْارَ أزْوَاجهن شَيْئاً.

قَالتْ الأولى: زَوْجي لَحْمُ جَمَل غَثٌ[٢] عَلى رَأس جَبَل[٣] لا سَهْلٍ[٤] فَيُرتْقى[٥] ولاسَمين فيُنْتَقَل[٦].

وَقَالتْ الثانيةُ: زَوْجي لا أبُثُّ[٧] خبَرَهُ. إنى أخافُ أن لا أذره[٨].

إن أذْكُرْهُ أذكر عَجَرَهُ[٩] وبُجَرَهُ[١٠].

(*) ذكر النسائى أن سبب هذا الحديث أن قالت عائشة: «فخرت بمال أبى فى الجاهلية، وكان ألف ألف أوقية. فقال النبى ﷺ **«اسكتى يا عائشة، فإنى كنت لك كأبى زرع لأم زرع»**... وقيل سبب الحديث أن عائشة وفاطمة جرى بينهما كلام فدخل رسول الله ﷺ. فقال: **«ماأنت بمنتهية يا حميراء عن ابنى. إن مثلى ومثلك كأبى زرع مع أم زرع»**. فقالت: يارسول الله حدثنا عنهما. فقال: كانت قرية فيها إحدى عشرة امرأة، وكان الرجال خلوفاً، فقلن: تعالين نتذاكر أزواجنا بما فيهم ولانكذب... وقيل إن هذه القرية كانت باليمن... وقبل إنهن كن بمكة... وقيل: إنهن كن فى الجاهلية.

(١) أى ألزمن أنفسهن عهداً وتعاقدن على الصدق.

(٢) هزيل يستكره.

(٣) أى كثير الضجر شديد الغلظة يصعب الرقى إليه كالجبل.

(٤) أى لا هو سهل ولا سمين، شبهت شيئين بشيئين: شبهت زوجها باللحم الغث: وشبهت سوء خلقه بالجبل الوعر ثم فسرت ما أجملت: لا الجبل سهل فلا يشق ارتقاؤه لأخذ اللحم ولو هزيلاً، لأن الشئ المزهود فيه قد يؤخذ إذا وجد بغير تعب، ولا اللحم سمين فيتحمل المشقة فى صعود الجبل لأجل تحصيله.

(٥) وصف الجبل أى لا سهل فيرتقى إليه.

(٦) وصف اللحم: أى أنه لهزاله لا يرغب أحد فيه فينتقل إليه أى أن زوجها شديد البخل سيئ الخلق ميئوس منه.

(٧) أى لا أظهر حديثه الذى لا خير فيه.

(٨) أى أخاف أن لا أترك من خبره شيئاً، فلطوله وكثرته أكتفى بالإشارة إلى معايبه خشية أن يطول الخطب من طولها.

(٩) العجر: تعقد العروق والعصب فى الجسد.

(١٠) والبجر مثلها إلا أنها تكون مختصة بالتى تكون فى البطن. قال الخطابى: أرادت عيوبه الظاهرة وأسزاره الكامنة، ولعله كان مستور الظاهر ردىء الباطن، وهى عنت أن زوجها كثير المعايب متعقد النفس عن المكارم.

قالت الثَالِثَةُ: زَوْجِى العَشَنَّقُ[١]: إن أنطق أطلّقْ[٢]، وإنْ أسْكتْ أُعلّقْ.

قَالَتْ الرابعةُ: زَوْجى كَلَيْلِ تِهَامَةَ[٣]، لا حَرٌ ولا قُرٌ، وَلا مَخَافَةَ وَلاَ سَآمَةَ.

قالت الخَامِسَةُ: زَوجْى إنْ دَخَلَ فَهِدَ[٤]، وإنْ خَرَجَ أسِدَ[٥] ولا يَسألُ عَمَا عَهِدَ[٦].

قَالتَ السَّادسَةُ: زَوْجى إنْ أكل لَفَّ[٧]، وإن شربَ اشتفَّ[٨]، وإن اضْطَجَعَ التَفَّ[٩] ولا يولجُ الكَفَّ لِيَعْلَمَ البَثَّ[١٠].

قَالت السَابعَةُ: زَوْجى غيَاباءُ. أو عَيَاباءُ، طَبَاقَاءُ[١١]، كلُّ داء لهُ داء[١٢] شَجَّك[١٣] أوْ فلَّك[١٤] أوْ جَمَعَ كُلاًّ لك[١٥].

---

(١) المذموم الطول ـ أرادت أن له منظراً بلا مخبر، وقيل هو السيئ الخلق.

(٢) أى إن ذكرت عيوبه وبلغه ذلك طلقنى، وإن أسكت عنها فأنا عنده معلقة لا ذات زوج ولا مطلقة مع إنها متعلقة به وتحبه مع سوء خلقه.

(٣) تهامة بلاد حارة فى معظم الزمان وليس فيها رياح باردة فيطيب الليل لأهلها بالنسبة لما كانوا فيه من أذى حرارتها. . . فوصفت زوجها بجميل العشرة واعتدال الحال، وسلامة الباطن، فكأنها قالت لا أذى عنده ولا مكروه. . . وأنا آمنة منه فلا أخاف من شره. . . فليس سيئ الخلق فأسأم من عشرته. فأنا لذيذة العيش عنده كلذة أهل تهامة بليلهم المعتدل.

(٤) شبهته بالفهد لأنه يوصف بالحياء وقلة الشر وكثرة النوم والوثوب، فهى وصفته بالغفلة عند دخول البيت على وجه المدح له.

(٥) أسد أى يصير بين الناس مثل الأسد فهى تريد أنه فى البيت كالفهد فى كثرة النوم والوثوب وفى خارجه كالأسد على الأعداء.

(٦) بمعنى أنه شديد الكرم كثير التغاضى لا يتفقد ما ذهب من ماله فهو كثير التسامح:

(٧) المراد باللف الإكثار منه. فعنده نهم وشره.

(٨) الاشتفاف فى الشرب عدم الإبقاء على شىء من المشروب.

(٩) أى بكسائه وحده، وانقبض عن أهله إعراضاً فهى حزينة بذلك.

(١٠) البث هو الحزن أى لا يمد يده ليعلم ما هى عليه من حزن فيزيله، ويحتمل أن تكون أرادت أنه ينام نوم العاجز الفاشل: أرادت أنه لا يسأل عن الأمر الذى تهتم به، وهو المباشرة الجنسية.

(١١) شك من راوى الحديث والعياباء الذى لا يضرب، ولا يلقح من الإبل، وبالمعجمة ليس بشىء، والطبقاء الأحمق. . . أو هو الثقيل الصدر: فهى تصفه بأنه عاجز عن النساء ثقيل الصدر.

(١٢) أى كل داء تفرق فى الناس فهو فيه.

(١٣) شجك: أى جرحك فى رأسك وجراحات الرأس تسمى شجاجة.

(١٤) فلك: أى جرح جسدك.

(١٥) أى أنه ضروب للنساء، فإذا ضرب إما يكسر عظماً، أو يشبح رأساً أو يجمعهما.

قَالَت الثّامنَةُ: زَوْجِى المسُّ مَس [1] أرنَبٍ، والريحُ ريحُ زَرْنَب[2].

قَالَت التّاسعَةُ: زَوْجِى رَفِيعُ الْعماد[3] طَويلُ النَجَاد[4]، عَظيمُ الرَّماد[5] قَرِيبُ البَيْتِ منَ النّاد[6].

قَالَت العَاشرَةُ: زَوْجِى مَالكُ وَمَا مَالكُ؟ مَالكٌ خَيْرٌ منْ ذلك، لَهُ إبلٌ كثيراتُ المَبَارك[7] قَليلاتُ المسارح[8] وإذَا سَمِعْنَ صَوتَ المِزْهَر[9] أيْقَنَّ أنهُنَّ هَوَالكُ [10].

قَالَت الحادية عَشرَة: زَوْجِى أبُو زَرع، فَما أبُو زَرْع[11]؟

أناس[12] منْ حُليٍّ أُذُنىَّ[13]، ومَلأ منْ شَحْمٍ عَضُدىَّ [14] وبَجّحَنى فَبَجَحَتْ[15] إلىَّ نَفْسى، وَجَدَنى فى أهْل غُنَيمَة بشق[16] فَجَعَلَنى فى أهْل صَهيل[17] وأطيط[18] وَدَائس[19] ومَنَقٍّ [20] فَعنْدَهُ أقُولُ فَلا أقَبحَ [21]، وأرْقُدُ

---

(١) أى ناعم الجلد مثل الأرنب. (٢) الزرنب نبت طيب الريح.

(٣) وصفته بعلو بيته وطوله، فإن بيوت الأشراف كذلك يعلونها ويضربونها فى المواضع المرتفعة.

(٤) النجاد: حمالة السيف: وهى تريد أنه أيضاً شجاع. (٥) كناية عن الكرم.

(٦) أى وضع بيته وسط الناس ليسهل لقاؤه. وهو لا يحتجب عن الناس.

(٧) جمع مبرك وهو موضع لبول الإبل.

(٨) الموضع الذى تطلق لترعى فيه أى لا تخرج إلى المرعى إلا قليلاً استعداداً لنحرهن للضيوف.

(٩) آلة من آلات الطرب والغناء وهو العود.

(١٠) فإذا رأت الإبل ذلك وسمعت ضرب العود أيقنت أنها هوالك، وأنها ستذبح للضيوف. وقولها مالك ومالك استفهامية تقال للتعظيم والتعجب.

(١١) أى أن شأنه عظيم. (١٢) أناس: أى حرك وأثقل.

(١٣) المراد أنه ملأ أذنيها من أقراط من ذهب ولؤلؤ.

(١٤) لم ترد العضد وحده، وإنما أرادت الجسم كله، وخصت العضد لأنه أقرب ما يلى بصر الإنسان من جسده أى كثرت نعمه عليها حتى سمن جسمها.

(١٥) المراد أنه فرحها ففرحت، وقيل عظمنى فعظمت إلى نفسى.

(١٦) بشق: أى بشظف وجهد ومنه قول الله تعالى ﴿**لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس**﴾ أى بعد جهد ومشقة. (١٧) صهيل: أى خيل.

(١٨) أطيط: أى إبل، وأصل الأطيط صوت أعواد المحامل، ويطلق الأطيط على كل شىء نشأ عن ضغط.

(١٩) المراد أن عندهم طعاماً منتقى من الزرع الذى يداس فى بيدره ليتميز الحب من السنبل.

(٢٠) المنق: الآلة التى تميز الحب وتنقيه مثل المنخل والغربال.

(٢١) أى لكثرة إكرامه لها وتدللها عليه لا يرد لها قولا، ولا يقبح عليها ما تأتى به.

فَأتصبَّحُ[١]. وأشْرَبُ فَأتقمّحُ[٢]. أمُّ أبى زَرْعٍ. فَمَا أم أبى زَرْعٍ؟: عُكُومَها[٣] رَدَاحٌ[٤]، وبيتُها فَسَاحٌ[٥]. ابْنُ أبى زَرْع. فَمَا ابْنُ أبىِ زَرْعٍ؟ مَضْجَعَهُ كمسَلِّ[٦] شَطْبَةٍ، ويَشْبعَهُ ذِرَاعُ الجفْرَةِ[٧] بنْتُ أبى زَرْعٍ فَمَا بنْتُ أبى زَرْعٍ؟ طَوعُ أبيهَا وطَوْعُ أمِّهَا[٨]، ومَلْءَ كسَائِهَا[٩] وَغَيْظُ جَارَتِهَا[١٠] جَارِيةُ أبى زَرْعٍ. فَمَا جَارِيةُ أبى زَرْعٍ؟ لا تَبُثُّ[١١] حَدِيثَنَا تَبْثِيثاً[١٢]، وَلَا تُنَقِّثُ[١٣] ميراتنا تنقيثاً[١٤] ولا تملأ بَيْتَنَا تَقْشيشاً[١٥].

قَالَت خَرَجَ أبُو زَرْعٍ، والأوْطابُ[١٦] تمخَضُ[١٧] فَلَقِىَ[١٨] امْرَأةً مَعَهَا وَلَدَانِ

---

(١) أى أنام الصبحة وهى نوم أول النهار، فلا أوقظ، إشارة إلى أن لها من يكفيها مؤنة بيتها ومهنة أهلها.

(٢) هو الشرب على مهل حتى تمتلىء وترتوى وهى تريد أنواع الأشربة من لبن وغير ذلك.

(٣) هى نمط تجعل المرأة فيها ذخيرتها ومتاعها ـ حقيبة ـ.

(٤) يقال المكتيبة الكبير رداح إذا كانت بطيئة السير، ويقال للمرأة إذا كانت عظيمة الكفل ثقيلة الورك رداح. أى أنها ثقيلة من ملئها.

(٥) فساح: واسع.

والمعنى أنها وصفت أم زوجها بأنها كثيرة الآلات والأثاث والقماش واسعة المال كبيرة البيت، والمرأة التى تكون على هذا الحال يكون ابنها صغيراً لم يطعن فى السن غالباً فزوجها صغير.

(٦) أرادت بمسل الشطبة سيفاً سل من غمده، فمضجعه الذى ينام فيه فى الصغر كقدر سل شطبة واحدة: وهى العود المحدود كالمسلة.

(٧) الجفرة: هى الأنثى من ولد المعز إذا كان سن أربعة أشهر، وفصل عن أمه وأخذ فى الرعى فهى وصفت ابن زوجها بأنه خفيف الوطأة عليها، فإذا دخل بيتها وقت القيلولة مثلا لم يضطجع إلا قدر ما يسل السيف من غمده، وأنه لا يحتاج طعاماً من عندها، فلو طعم لاكتفى باليسير الذى يسد الرمق من المأكول والمشروب فهو ظريف لطيف.

(٨) أى أنها بارة بهما.

(٩) كناية عن كمال شخصها ونعمة جسمها.

(١٠) أى أنها تغيظ جارتها لما ترى من نعم وخير، والمراد بجارتها ضرتها أو المراد فى الحقيقة شأن أغلب الجارات.

(١١) لا تبث أى لا تظهر.

(١٢) أى لا تفش سراً.

(١٣) أى لا تسرع فيه بالخيانة ولا تذهبه بالسرقة. أو تحسن صنع الطعام.

(١٤) الميرة: هى الزاد وأصله ما يحصله البدوى من الحضر ويحمله إلى منزله.

(١٥) أى مصلحة للبيت مهتمة بتنظيمه وتنظيفه.

(١٦) جمع وطب وهو وعاء اللبن.

(١٧) إخراج الزبد من اللبن والمراد أنه خرج من عندها مبكراً.

(١٨) سبب رؤية أبى زرع للمرأة وهى على هذه الحالة أنها تعبت من مخض اللبن فاستلقت تستريح فرآها على هذه الحالة، وسبب رغبته فى إنكاحها أنهم كانوا يحبون نكاح المرأة المنجبة.

لهَا كالفَهْدَيْن، يَلْقيَان مِنْ تحتَ خَصْرِهَا بِرُمَّانَتين[١] فَطَلّقنى ونكَحهَا فَنكحْتُ بَعْدَهُ رَجُلا سريّاً[٢] ركبَ شَرِيّاً[٣] وأخذَ خطياً[٤] وأرَاحَ[٥] عَلىَّ نَعماً ثَرِيّاً[٦]، وأعْطَانى مِنْ كلِّ رَائِحَة زَوْجاً[٧]، وقالَ كلى أمَّ زرْعٍ ومِيرى[٨] أهْلَك. قَالَتْ فَلوْ جَمعْتُ كلَّ شىء أعْطانيه ما بَلغَ أصْغَرَ آنية[٩] أبى زَرْعٍ. قَالَتِ عَائشةُ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «كُنْتُ لكِ كأبى زَرْعٍ لأمِّ زَرْعٍ»[١٠].

رواه الشيخان والنسائى.

*****

(١) المراد بالرمانة ثديها، وهذا دليل على أن المرأة كانت صغيرة السن وأن ولديها كانا يلعبان وهما فى حضنها أو جنبها.

(٢) أى من سراة الناس أى شريفاً.

(٣) فرساً عظيماً خيراً، والشرى هو الذى يمضى فى السير بلا فتور.

(٤) هو الرمح.

(٥) أى أتى بها إلى المراح وهو موضع مبيت الحاشية، وقيل معناه غزا فغنم فأتى بالنعم الكثيرة.

(٦) أى كثيرة.

(٧) المعنى أعطانى من كل شىء يذبح زوجاً أى اثنين من كل شىء من الحيوان الذى يرعى. وأرادت كذلك كثرة ما أعطاها.

(٨) ميرى أهلك. أى صليهم واسعى إليهم بالميرة وهى الطعام.

(٩) أى التى كان يطبخ فيها عند أبى زرع على الدوام والاستمرار من غير نفس ولا قطع.

(١٠) وفى رواية بزيادة فى آخره: «إلا أنه طلقها وإنى لا أطلقك» وزاد النسائى فى رواية: عائشة يا رسول الله: بل أنت خير من أبى زرع.

الأنكحة التى كانت قبل الإسلام

أيها القارئ الكريم. . . . ، ليس المراد من هذا البحث تتبع أساليب الأنكحة التى كانت قبل الإسلام وتطورها فى حياة الشعوب عبر التاريخ، وإنما المقصود هو إظهار بعض النماذج المتنوعة من صور هذه الأنكحة لكى يدرك القارئ الكريم عظمة هذا الدين الإسلامى الحنيف فى تشريعاته السمحة، ومدى إنصافه لكل من الزوج والزوجة فى حياتهما الزوجية، وكيف أنه حرر المرأة من عبوديتها، وأعلن حقوقها المادية والأدبية وحماها من ظلمات التقاليد الفاسدة والعادات القبيحة التى كانت تفرض عليها، فلا تجد لها نصيرا، وقد جعلها الإسلام السمح فى ظل أحكامه النيرة العادلة. شريكة للرجل فى تحمل أعباء الأسرة والمساهمة فى رعاية البيت والأولاد. كما أن الإسلام أعطى للرجل حقوقه الزوجية كاملة، وجعله سيد أسرته والقائم عليها.

وإليك أيها القارئ الكريم، نماذج من أساليب الأنكحة التى كانت قبل الإسلام، والتى لا تزال بعض بقاياها تجرى فى بعض الشعوب إلى الآن(١):

١) وحدة الزوجية مع عدد من الأزواج: وهو نظام يباح بمقتضاه لجماعة من الرجال أن يشتركوا فى زوجة واحدة، فتكون حقا مشاعا بينهم، وقد أخذ بهذا النظام عدد غير يسير من الشعوب البائدة والمتحضرة، واختلفت المجتمعات التى أخذت بهذا النظام فى الوضع القانونى للأزواج، وأيهم يكون أبا للأبناء.

٢) وفى كثير من المناطق، فى جنوب الهند وعلى الحدود الشمالية، كان يباح للأخوة أن يشتركوا فى زوجة واحدة، ولا يزال هذا النظام متبعا إلى الوقت الحاضر لدى كثير من القبائل الجبلية. وجرت العادة لديهم، أن يتزوج الأخ الأكبر، فتصبح زوجته، زوجة لجميع أخوته، وإذا لم يكن للشاب أخوة، فإنه قلما يجد زوجة له.

٣) وفى عشائر الريدى الهندية، جرت العادة أن تتزوج المرأة بين السادسة عشر،

---

(١) من كتاب الأسرة والمجتمع للدكتور/ على عبد الواحد وافى.

والعشرين من عمرها، بطفل فى سن الخامسة، ويعتبر هذا الطفل زوجها الشرعى النظرى، ولكن يجب أن يكون له بجانبه زوج عملى، هو عم الطفل، أو ابن عمه، أو أبوه نفسه أحيانا، وجميع من تأتى به من الأولاد، يلحق نسبهم بزوجها الشرعى وحده، حتى إذا بلغ هذا الغلام أشده، تكون المرأة قد وهن العظم منها، وأدركتها الشيخوخة، فيتصل بإحدى زوجات أولاده أو أقاربه الصغار، ويصبح زوجها العملى إلى جانب زوجها الشرعى، ويقوم بالدور نفسه الذى قام به غيره مع زوجته، وهو صغير. . . . ، وهكذا.

٤) أن يكون للمرأة زوج واحد، ولكن يباح لغيره أن يتصل بها فترة ما محددة قبل الزواج، أو بعده فى ظروف معينة وبقيود خاصة، بدون أن يكون لهذا الدخيل صفة الزوج ولا حقوقه. فمن ذلك، نكاح «الاستبضاع» الذى كان شائعا عند قدماء اليونان، وعند العرب فى الجاهلية، وعند الهنود وغيرهم ـ والمقصود منه أن يدع الزوج زوجته تتصل برجل عظيم، لتأتى منه بأولاد نجباء، ينسبون إلى الزوج من الناحية الشرعية، ويحملون اسمه، ويعتبرون من أولاده.

وقد جاء فى حديث أم المؤمنين، عائشة، رضى الله عنها، عن النكاح فى الجاهلية، ما يدل على أن هذا النظام كان متبعا كذلك عند العرب قبل الإسلام، ذلك إذ تقول:

«كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها[1]: أرسلى إلى فلان فاستبضعى[2] منه، ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبدا حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذى تستبضع منه».

٥) ومن ضمن أساليب المجتمات فى النكاح، الاستيلاء على المرأة بالقوة والسبى[3]، وعلى هذا الأسلوب، كانت تسير بعض قبائل العرب فى الجاهلية، وكان جواز معاشرة السابى[4] لمسيبته، قائما على ملكيته لها واستيلائه عليها عن طريق الغلبة على أهلها، ثم أسرها وتكون له بمنزلة الأَمَة، فتباح له معاشرتها معاشرة الأزواج. وإلى ذلك يشير حاتم الطائى، إذ يقول فى قصيدة له:

فما أنكحونا طائعين بناتهم ولكن خطبناها بأسيافنا قسرا

---

(١) طمثها: حيضها.
(٢) فاستبضعى منه المباضعة، أى الجماع لتنالى منه الولد فقط.
(٣) السبى: الأسر.
(٤) السابى لمسيبته: أى الآسر لأسيرته.

وإليك أيها القارئ الكريم، أساليب أخرى من الأنكحة التى هدمها الإسلام، ذكرها فضيلة الشيخ/ **سيد سابق** فى كتابه فقه السنة، وهى: ـ

الأول: نكاح الخدن: كانوا يقولون: ما استتر فلا بأس به، وما ظهر فهو لؤم[١]. وهو المذكور فى قوله سبحانه وتعالى: ﴿**ولا متخدات أخدان**﴾[٢]، والخدن هو الخليل أو الصديق.

الثانى: نكاح البدل: وهو أن يقول الرجل للرجل: أنزل عن امرأتك وأنزل لك عن أمرأتى، وأزيدك، رواه الدارقطنى، عن أبى هريرة، بسند ضعيف جدا.

وذكرت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها، غير هذين النوعين فقالت: «كان النكاح فى الجاهلية على أربعة أنحاء[٣]:

(١) **نكاح الناس اليوم**: يخطب الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحا.

(٢) **ونكاح آخر**: كان الرجل يقول لامرأته، إذا طهرت من طمثها: أرسلى إلى فلان فاستبضعى منه، ويعتزلها زوجها حتى يتبين حملها، فإذا تبين، أصابها إذا أحب. وإنما يفعل ذلك رغبة فى نجابة الولد ويسمى هذا النكاح: نكاح الاستبضاع، وقد سبق ذكره.

(٣) **ونكاح آخر**: يجتمع الرهط (مادون العشرة)، على المرأة فيدخلون كلهم يصيبها، فإذا حملت ووضعت، ومر عليها ليال، أرسلت إليهم، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع، حتى يجتمعوا عندها، فتقول لهم: قد عرفتم ما كان من أمركم وقد ولدت، فهو ابنك يا فلان، تسمى من أحبت باسمه فيلحق به ولدها، لا يستطيع أن يمتنع منه الرجل.

(٤) **ونكاح رابع**: يجتمع ناس كثير، فيدخلون على المرأة، لا تمتنع ممن جاءها ـ وهن البغايا[٤] ـ ينصبن على أبوابهن رايات تكون علما فمن أرادهن دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن، ووضعت، جمعوا لها، ودعوا لهم القافة[٥] ثم،

---

(١) لؤم: أى من الخسة والدناءة.

(٢) النساء آية (٢٥).

(٣) أنحاء: أى أنواع.

(٤) البغايا: الزوانى.

(٥) جمع قائف، وهو من يشبه بين الناس فيلحق الولد بالشبيه.

ألحقوا ولدها بالذى يرون، فالتاط[1] به، ودعى ابنه، لا يمتنع من ذلك.

فلما بعث محمد ﷺ بالحق، هدم نكاح الجاهلية إلا نكاح الناس اليوم.

وهذه أنكحة أخرى ذكرها الإمام ابن كثير، رضى الله تعالى عنه، قال البخارى رضى الله عنه، حدثنا محمد بن مقاتل، حدثنا أسباط بن محمد حدثنا الشيبانى عن عكرمة، عن ابن عباس **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾**، قال كانو إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته أن شاء بعضهم تزوجها، وان شاؤا زوجها وإن شاؤوا لم يزوجوها، فهم أحق بها من أهلها، فنزلت الآية الكريمة: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾**[2]. هكذا ذكره البخارى وأبو داود والنسائى وابن مردويه وابن أبى حاتم.

وقال زيد بن أسلم عن أهل يثرب، إذا مات الرجل وهم فى الجاهلية ورث امرأته من يرث ماله، وكان يعضلها حتى يرثها، أو يزوجها من أراد.

وكان أهل تهامة يسىء الرجل صحبة المرأة، حتى يطلقها، ويشترط عليها أن لا تنكح إلا من أراد حتى تفتدى منه ببعض ما أعطاها، فنهى الله المؤمنين عن ذلك، رواه ابن أبى حاتم، وقال ابن جريج: أخبرنى عطاء أن أهل الجاهلية، كانوا إذا هلك الرجل وترك امرأة حبسها أهله على الصبى يكون فيهم. وقال ابن جريج قال مجاهد كان الرجل إذا توفى كان ابنه أحق بامرأته، ينكحها إن شاء، إذا لم يكن ابنها، أو ينكحها من شاء، أخاه، أو ابن أخيه، وقال السدى عن أبى مالك: كانت المرأة فى الجاهلية إذا مات زوجها، جاء وليه فألقى عليها ثوبا، فإن كان له ابن صغير، أو أخ حبسها حتى يشب أو تموت فيرثها، .فإن هى انفلتت، فأتت أهلها ولم يلق عليها ثوبا، نجت، وقال مجاهد: كان الرجل يكون فى حجره اليتيمة هى يلى أمرها، فيحسبها رجاء أن تموت امرأته فيتزوجها، أو يزوجها ابنه ـ رواه ابن أبى حاتم.

وأيضا كان الابن يتزوج بامرأة أبيه، ويجمع الرجل بين الأختين وهذا ما ذكره ابن عباس رضى الله عنه.

وكانت هناك أساليب أخرى ظالمة، وطرق حائرة للروابط الزوجية، تدل على

---

(١) التاط به: التصق به وثبت النسب، بينهما.

(٢) النساء آية (١٩).

أوضاع ذميمة تنافى الكرامة الإنسانية، لأنها كانت تحط من قدر المرأة، وتهين عزتها وكرامتها، وتعرضها للانحلال، بسبب ما كان يفرض عليها من العادات والتقاليد التى تأباها العقول السليمة والضمائر الحية. وإذا كانت هذه الصور من الأنكحة السالفة الذكر، تمثل جانبا مظلما وموحشا فى الحياة الزوجية، لذلك قام الإسلام بهدم هذه الأنكحة كلها، وجاء للبشرية بأفضل نظام وأدق تشريع للحياة الزوجية، لكى يوفر لها عوامل السكينة والمودة والرحمة، وهناك أدلة عديدة من كتاب الله تبارك وتعالى منها قول الله تعالى فى كتابه العزيز: ﴿**وَلاَ تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلاً . حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا . وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا**﴾[1].

وهذه الآيات الكريمة، هى آيات تحريم المحارم والنسب وما يتبعه من الرضاع والمحارم بالصهر، وأمك التى ولدتك وأمك التى أرضعتك وما شابه ذلك.

وقد ثبت فى الصحيحين من حديث مالك بن أنس عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة**»، وفى لفظ لمسلم: «**يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب**»، هذا ولله الحمد والمنة.

*****

(١) سورة النساء: ٢١ ــ ٢٤.

مفهوم النكاح فى الإسلام

النكاح هو رباط مقدس، شرعه الله عز وجل، لما فيه من رحمة ومودة، وألفة وتعارف، وتناسل وتكاثر، وصيانة من الأمراض والآثام، ووقاية للنفس من ثورة الشهوة وطغيانها، وعون على الدين، ومعاونة على الحياة الشريفة.

وحكمته فى الإسلام، ليس قضاء الوطر الجنسى فحسب، بل الغرض منه أسمى من ذلك وأكبر، ولهذا كان النكاح سنة من سنن الدين، وسبيل دعا إليه سيد المرسلين ﷺ، فقال: «**وإن من سنتنا النكاح**»[١]، وما كان النكاح سنة من سنن الدين لأنه فيه قضاء الغريزة الجنسية فحسب، بل شرع لما فيه من فضائل اجتماعية ونفسية، لأن النكاح هو رباط الأسرة، ودعامة العمران، امتن الله علينا به فقال: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[٢].

ولقد كان النبى ﷺ، يحث على طلب النسل بالنكاح، فقال ﷺ: «**تناكحوا تكثروا فإنى أباهى بكم الأمم**»[٣].

والنكاح هو الراحة الحقيقية للرجل والمرأة على السواء، لأن الحقيقة الملموسة فى حياة البشر، أن فى الرجل حنينا كامنا للمرأة، كما أن فى المرأة حنينا كامنا إلى الرجل، وأن كلا منهما، يحس بحاجته الملحة إلى الآخر، وتلك سنة الله فى خلقه، فلا عجب إذا ما شعر الرجل فى كيانه الحسى بفراغ لا يملؤه إلا اللقاء بالمرأة، كما أنه لا غرابة فى أن تشعر المرأة بقلق فى وجدانها، لا يهدأ حتى تجد الصلة بالرجل، وذلك هو النكاح الذى شرعه الله سبحانه وتعالى فى عالمنا الإنسانى، بوسيلة شريفة، للاتصال بين الرجل والمرأة، وبصورة تليق بمكانة الإنسان وكرامته.

---

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده . (من حديث عاكف).
(٢) الروم آية: ٢٠.
(٣) رواه البيهقى.

ولولا هذه الوسيلة، لضاع العالم، وتبعثرت الأسر والقبائل والشعوب، ولا ظهرت حياة اجتماعية، ولا قام عمران ولا تقدم للبشرية، وقد كانت أول زيجة أرادها الله سبحانه وتعالى، لازدهار الحياة على الأرض، هى زواج أبينا آدم، بأمنا حواء عليهما السلام، ومن ذريتهما التى انتشرت فى جميع أقطار الأرض - وتوالدت ملايين البشر، وما تزال هذه الملايين تتوالد ثم تموت، وسوف تظل البشرية بين أرحام تدفع، وأرض تبلع، إلى أن يأتى الله بأمره، وتنتهى هذه الحياة الدنيا.

ولذا يشير القرآن الكريم إلى خلق الناس جميعا من نفس واحدة، وأنه خلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء، وكان هذا التكاثر نتيجة التزاوج بين ملايين البشر - وفى ذلك دلالة قوية على أن الناس جميعا على اختلاف أجناسهم وأشكالهم، وألوانهم ولغاتهم وأديانهم، أخوة تجمعهم أبوة واحدة. وليت هذه الحقيقة تتملك عقول الناس وقلوبهم، فيتعاونون ويتحابون ولا تقف الفوارق الجنسية حائلا بينهم. فقد أشار الله تبارك وتعالى إلى ذلك فى قوله تعالى فى أول سورة النساء: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً**﴾[١]، ومعنى كلمة الأرحام فى هذه الآية، تدل على معنى التراحم وصلة الأقارب وغيرهم لوحدة الأصل فى الرحم.

وقد وضعت الشريعة الإسلامية للنكاح أحكاما فى غاية العدل والإحسان حتى تكون فى الرابطة الزوجية أسباب السكينة والمودة والرحمة، وجعل النكاح عقدا إنسانيا كريما، وميثاقا غليظا ترتبط به القلوب، وتنجلى به المشاعر والمصالح، ويندمج فيه الزوجان اندماجا قويا، وتشتد فيه العلاقة بينهما إلى درجة قد تفوق علاقات الأبوة. والدليل على ذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ**﴾[٢]. ومعنى كلمة الرفث، مقاربة النساء ومباشرتهن، وأيضا التعبير القرآنى بلفظ اللباس، يدل على شدة الالتصاق والتآلف

---

(١) النساء: الآية: ١.

(٢) البقرة آية: (١٨٦).

بين الزوجين، فهو اتصالا كريما، وعلاقة روحية نفسية، ومتعة حقيقية للرجل والمرأة على السواء، ومن أجل ذلك قال الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز: **﴿وَأَنكحُوا الأَيَامَىٰ منكُمْ وَالصَّالحينَ منْ عبَادكُمْ وَإمَائكُمْ إن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنهمُ اللَّهُ من فَضْله﴾**[1]، وهذا المعنى القرآنى يلفت النظر إلى أن الله تبارك وتعالى يجعل من النكاح سبيلا إلى الغنى، وفى حديث الترمذى عن أبى هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد فى سبيل الله، والمكاتب الذى يريد الأداء، والناكح الذى يريد العفاف**».

وقال الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه، عجبت لمن يطلب الغنى ولم يتزوج، ولقد روى البخارى ومسلم عن أنس رضى الله عنه قال: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ، فلما أخبروا ـ كأنهم تقالوها[2] ـ فقالوا: وأين نحن من النبى ﷺ، قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإنى أصلى الليل أبدا، وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «**أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟؟، أما والله إنى لأخشاكم لله، وأتقاكم له. لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى**».

وفى حديث الترمذى عن أبى أيوب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أربع من سنن المرسلين: الحياء، والتعطر، والسواك، والنكاح**»، فهذا يدل على أن النكاح من سنن الأنبياء وهدى المرسلين، وأنهم القادة الذين يجب علينا أن نقتدى بهداهم، ويؤكد ذلك قول الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز **﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مّن قَبْلكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرّيَّةً﴾**[3]، فالنكاح هو حصانة ومنعة ولباس العفة وسياج الكرامة والإنسانية، وعون على الغنى وعلى الاتجاه الصالح إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ. فعن أنس رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**من رزقه الله امرأة صالحة، فقد أعانه على شطر دينه، فليتق الله فى الشطر الباقى**».

---

(١) النور: آية (٣٢).

(٢) تقالوها: أى من القلة.

(٣) الرعد آية (٣٨).

وقال ابن مسعود رضى الله عنه: «لو لم يبق من أجلى إلا عشرة أيام، وأعلم أنى أموت فى آخرها، ولى طول النكاح فيهن لتزوجت مخافة الفتنة». فالنكاح يكون الطريق لعصمة المسلم من الانحراف، والذلل، ويحفظه من جموح شهواته الجنسية التى تتحكم فيه. وبالنكاح يكمل دين المرء المسلم وبه تتم سعادته، وحفظ صحته وماله، لأنه يعينه على أن يغض بصره ويعف نفسه ويصون جوارحه من المحرمات كما أنه يجد متنفسا لشهواته فى الحلال، وبالنكاح تنمو الصلات الاجتماعية وتترابط الأسر وتتسع دائرة الألفة والمودة، وقد تساعد المصاهرة على محو العداوات المتأصلة بين الجماعات المتخاصمة وتدوم المحبة بسبب النكاح.

*****

ورع كاذب.. وحياء مزيف

حينما يتورع بعض المفكرون الإسلاميون عن الخوض فى مسائل لم يتورع عن الخوض فيها رسول الله ﷺ وأصحابه، فإن ورع هؤلاء المفكرون ورع كاذب.

وحينما يستحيى هؤلاء المفكرون من ذكر أمور لم يستح رسول الله ﷺ وأصحابه من ذكرها، فإن حياءهم حياء مزيف.

ولقد تكلم رسول الله ﷺ فى مسائل العلاقة الجنسية بين الزوجين، وأجاب السائلين عن دقائقها رجالا ونساء، بل وأمر بعض أمهات المؤمنين أن ترشد امرأة إلى شأن من أخص شؤون النساء، لا يجوز لرجل أن يتحدث به أى امرأة.

وهنا كان حياء رسول الله ﷺ وورعه، ولم يكن من حيائه ولا ورعه أن يغلق هذا الباب فى وجه من يطرقه، فلا يتحدث فيه، ولا يأذن للغير أن يستفتوه فى مسائله ومشاكله، وإنما كان يقف به الحياء عن مواصلة الحديث حينما يكون متصلا بمواطن لا تحتمل الكناية ولا التورية. وحينئذ كان يحيل السائلة إلى إحدى أمهات المؤمنين حيث يجوز بينها وبين السائلة ما لا يجوز بينها وبين رجل.

هذا هو الحياء حيث يجب الحياء وحيث يجب أن تكون الحذود مرعية بين الرجل والمرأة، أو حيث يكون خدش حياء المرأة مقدمة لخدش عفافها إذا تكرر القول الحرج بين الرجل والمرأة على هذا الضرب من الصراحة واقتحام الأسرار.

ولكن بعض شيوخنا ـ عافاهم الله ـ أغلقوا هذا الباب، وحاموا حوله، فتحدثوا عن آداب الخطبة، وآداب الزفاف، وأفاضوا فى الحديث وعن واجبات كل من الزوجين نحو الآخر فى كل شىء إلا فى العلاقة الجنسية، فقد مروا عليها مرور الكرام الورعين أهل الحياء، الذين يرتفعون بالإسلام ـ فى زعمهم ـ أن يعنى بهذه الغريزة الحيوانية وهو دين الحياة العالمية الآمنة.

قال بعض الشيوخ المتوقرون المتورعون أهل الحياء: إن الإفاضة فى هذه المواضيع يعطى لأعداء الإسلام سلاحا قاتلا، يستغلونه فى الدعاية المسمومة زاعمين أن الإسلام يعنى بالغرائز، ويجتذب إليه الناس عن طريقها.

وقالوا: إن الحيوان فضلا عن الإنسان ملهم بغريزته كيف يمارس هذه العملية دون حاجة إلى مزيد من الإرشاد.

وقالوا: أتريدون أن تعيدوا إلى الفكر الإسلامى بدعة التبذل والفحش المتمثلة فى كتب الجنس الداعرة التى كتبها العلماء الأقدمون؟ أم تريدون أن تنافسوا المصنفات الجنسية المكشوفة التى شاعت حديثاً فى كتب ومجلات وأفلام وصور مفضوحة يجب أن نحاربها جميعاً بكل قوة، لا أن نجاريها، وننسب مثلها لدين الإسلام والشامل للبشرية كلها؟

والحق أن أهل الحياء الكاذب والورع المزيف جهلوا وما علموا.

جهلوا أن شريعة الإسلام حينما تعنى بالتثقيف الجنسى فإنما تعنى بإحدى شهوتين عليهما تقوم الحياة، ومن أجلهما كان التشريع كله. . .فهذا الحشد الهائل من تشريع الحلال والحرام إنما كان من أجل تعديل هاتين الشهوتين، على طريق صحيح يؤدى إلى قيام العمران، وإلى انطلاق الدعوة إلى مداها، ألا وهما: شهوتا البطن والفرج.

وجهلوا أن أعداء الإسلام الذين يتخوفونهم بعقيدة مضطربة، وإباحية مخربة، وأنسوا إلى الرذيلة، وتجردوا من مقاصد الشرائع الألهية، وأرادوا أن يشدوا المسلمين إلى طريقهم بأساليب مختلفة منها هذا الأسلوب الذى يخافه المفكرون المسلمون، وصدق الله تعالى إذا يحذر المسلمين من صنيعهم بقوله:

﴿**وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاء**﴾ [النساء: ٨٩].

﴿**ولن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى**﴾ [البقرة: ١٢٠].

وجهلوا أن سياسة الإسلام العليا تهدف إلى ربط الإنسانية كلها بأواصر المودة والرحمة ابتداء من الزوجين، ثم الأسرة، ثم العشيرة، ثم المجتمع، ثم الأمة، ثم الإنسانية كلها. . .ولن تكون هذه الأواصر قوية وفعالة إلا إذا كانت قوية فى بدايتها من الحياة الزوجية بعناصرها الثلاثة وهى: السكن، والمودة، والرحمة. ولن تكون تلك العناصر أبدا ما لم تكن العلاقة الجنسية فى أرقى أحوالها من الإرواء النفسى والعاطفى الذى هو السكن فى شكله ومضمونه.

وجهلوا أن غريزة الجنس فى الحيوان تختلف عنها فى الإنسان. . . فهى فى الحيوان موسمية، وفى الإنسان دائمة، وهى فى الحيوان غير معوقة بإهمال الأنثى لمظهرها وطيبها وحالتها النفسية كما هى معوقة بهذه المظاهر عند الإنسان.

ومع ذلك فإن المتتبع لبعض أنواع الطيور كالحمام يدرك أن من العجماوات ما هو كالإنسان فى حاجة إلى العواطف العميقة والنظافة غير ذلك من لوازم العلاقة الجنسية الناجحة فى دنيا الإنسان.

وجهلوا أن بدعة التبذل والفحش التى شاعت فى كتب من التراث «كرجوع الشيخ إلى صباه» للتيفاشى، والمنسوب خطأ لابن الهمام، وكتاب «إرشاد اللبيب» لابن فلتة. «وما لا يوجد فى كتاب التيفاشى» وغيرها، والتى شاعت فى المكتوبات الحديثة. والأفلام المرئية، وأشرطة التسجيل المسموعة، كل ذلك إنما كان بسبب الجهل بالأداء الصحيح للجنس كما أشار إليه القرآن، وفسرته السنة بصراحة ووضوح. وكان من نتائج هذا الجهل انصراف الرجال عن الحلائل إلى الخلائل والغلمان. أو محاولة علاج العنة النفسية بالإثارة الفاحشة. والممارسات الخاطئة. ولو أن الناس كانوا على علم بإرشاد الكتاب والسنة فى هذا المقام لما كان ما كان.

ولقد أشار الإمام الواعظ ابن الجوزى فى كتابه «صيد الخاطر» إلى هذا الخطأ حينما علل انصراف الناس عن الحلائل إلى الخليلات بأن الخليلة تظهر كل محاسنها. وتخفى كل عيوبها بما لا تفعله الزوجة الشرعية. فيألف المنحرف هذا اللون من الممارسة التى تروى الجانب الظمآن من النفس المتعطشة إلى إرواء كامل لا تجده عند امرأة كل قصدها أن تخلط العيوب بالمحاسن حتى تنفر زوجها الشرعى منها.

هذا وغيره تجاهله دعاة الإسلام فى العصر الحديث، ولم يجهله القدامى، وتورع عن الخوض فيه المحدثون، ولم يتورع عن الخوض فيه القدامى. وإن كان الكثير منهم قد جاوز الصواب إلى ضروب من الفحش بعيدة عن الهدف الذى من أجله صنفوا كتبهم، إذا استثنينا المتقى الهندى فى كتابه «العنوان فى سلوك النسوان» والإمام السيوطى فى كتابه «شفاء الغليل فيما يعرض للإحليل» وهما من مخطوطات التراث.

والحق أن جهل الأزواج والزوجات بالنصوص الإسلامية التى تناولت العلاقة الجنسية بينهما فى الكتاب والسنة هو سبب رئيسى، بل وربما كان السبب الرئيسى المحرك للنزاعات الزوجية الدافعة إلى الطلاق.

والتقاليد الموروثة تعتبر الإفضاء بالسبب الحقيقى للنزاع ـ إذا كان سببا جنسياً ـ جريمة وعار، وهى التى تدفع كلا الزوجين إلى اصطناع أسباب أخرى للنزاع خوفاً من نظرات المجتمع الخاطئ التى لا ترحم.

وذلك أن من نتائج هذا الجهل نفور الزوج أو الزوجة من أن يقترب أحدهما من الآخر إذا كان السبب هو إهمال نظافة الظاهر، حتى خبثت رائحة الفم أو الجسد، أو النفور من نفس اللقاء الجنسى إذا كان السبب هو إهمال نظافة الداخل من أعضاء الجنس حتى خبثت هى الأخرى.

ويتمادى كل منهما فى إهماله، وتستحكم عقدة النفس عند كل منهما نحو الآخر، حتى يصبح نظر كل منهما إلى آخر أو تذكره على البعد موحيا بالنفور، وهادما لعنصر السكن المنشود من اجتماع رجل وامرأة على سنة الزواج الشرعى.

فإذا صارح أحدهما الآخر بما يعانيه من أزمة النفس قامت القيامة، وبدأت جذوة الحقد فى الاشتعال حتى ينتهى الحال إما إلى الطلاق، وإما إلى البحث عن السكن النفسى المزيف فى دنيا الحرام.

ومن أعجب الأعاجيب أن الرجل المنحرف قد يألف نفس العيوب التى نفرته من زوجته إذا وجدها فى زانية محترفة، وأن المرأة المنحرفة قد تألف نفس العيوب التى نفرتها من زوجها إذا وجدتها فى زان قد ألف الزنا، فكيف كان ذلك؟

كان ذلك لمدخل دقيق من مداخل الخداع النفسى يعز فهمه على الكثيرين. وذلك أن الزناة يجتمعون فى الغالب على مجالس المجاملات والمخدرات والمسكرات. متجردين عن كل ما هو جدى من شؤون الحياة، يعيشون ساعتهم وحدها، ولا عليهم أن تتهدم الدنيا على من فيها بعد ذلك، مغرقين فى فنون المجون والهزل، وفاحش القول المضحك حينا، والميثر للغرائز حينا، حتى لا يبقى على وجه أحدهم من قناع الحياء شىء.

فإذا هاجت الغريزة بين اثنين على هذا اللون من التفحش، وتعرية الوجه، وإمعان الرجل فى الكشف عن فحولته بمكشوف القول، والمبالغة فى احتواء تدلل الأنثى الذى يكون هو الآخر قد بلغ حدا تحركه هواجس الخمر والمخدر، وفنون الغواية التى تجيدها المحترفات، فحينئذ لا يحس كل منهما إلا بزئير الشهوة، والجوع إلى مزيد من المثيرات الصناعية التى تركم الأحاسيس عن كل العيوب والمنفرات.

ويألف كلاهما هذا الجو الصاخب الهائج المتحرر من كل قيمة حتى يصبح هو المثالية، وما عداه شذوذ، وهى نكسة يصاب بها الخاطئون قررها القرآن الكريم عن قوم لوط إذا اعتبروا طهارته جريمة يستحق عليها النفى من البلاد حين قالوا:

﴿ أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ [النمل : ٥٦].

وهكذا من ألف الزنا وأجواءه. .يعاشر الرجل امرأة دون جمال زوجته. وفوق مستوى زوجته فى إهمال النظافة، وتجنب المنفرات وتعاشر المرأة رجلاً دون مكان زوجها، وفوق مستواه فيما ينفر امرأة من رجل، ولكنهما يتآلفان، ويتواعدان. ويطول بينهما اللقاء. حتى يهجر الرجل البيت. أو تشذ المرأة فتبيت خارج بيتها فى أحضان رفيقها العفنة.

وألف الزناة للقذر والعفن وسعادتهم به أمر مقرر فى السنة النبوية. كما جاء فى حديث المعراج من أن البيئة التى يعاقب فيها الزناة إنما هى قمة النتن والعفن، وجزاء الإنسان فى الدار الآخرة على شكل ما قدم من العمل، فعوقب الزانى بالعفن الذى أحبه. كما يثاب أهل العفة بالحور العين وما يحيط بهن من أجواء الطهر والجمال.

ولكى يقتنع القارئ بهذا التعليل عليه أن يوازن بين شعوره فى حالة صلاحه إذا وقف فى حانة السكارى. ومدى ما يصيبه من اشمئزاز لرائحة الخمر والجو العام للسكارى. وبين شعوره فى حالة فساده إذا وقف نفس الموقف. فهو فى الحالة الثانية أشد ارتباطاً بهذا المنفر يسعى إليه. ويسعد به. ويكتئب إن غاب عنه.

وأول هذه الكارثة كما علمنا غلطة من زوجة أو من زوج. . .جهل زوج أو

زوجة فى أول حياتهما بتعاليم الإسلام فى آداب اللقاء الجنسى وأصوله. . . ونفس عنيدة تستبد بالخطأ. وتدافع عنه، وتثور من أجل كشفه، وينتهى الحال إلى نفور، ثم بحث عن سكن صناعى على غير الوجه الشرعى، وهو سكن مؤقت مقدر بقدر ما ينفق المنحرف، وبقدر ما تبذل المنحرفة من شرفها وكرامتها وعفافها. . . فإذا انقبضت يد الخاطئ عن النفقة، أو انقبضت الخاطئة عن بذل ما تبذل من شرفها وكرامتها تحول كل منهما إلى بيئة أخرى من بيئات الخطأ، لتتكرر نفس التجربة، ويصبح الزنا من مقومات حياة هؤلاء الخطاة، ومن صميم ثقافتهم.

وقد أشار القرآن الكريم إلى أن من جرب الزنا فإنه يألفه لا محالة إما بالفعل وإما بالتمنى حتى يكون بالفعل، وذلك فى قوله تعالى:

﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢].

فقد عبر باسم الفاعل ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ واسم الفاعل يفيد التجدد والاستمرار، كما تقول: فلان قائم. أى: ما زال قائما لم يقعد بأواصر المودة والرحمة ابتداء من الزوجين، ثم الأسرة، ثم العشيرة، أن الزناة رجالا ونساء لا يهدأ لهم بال إلا فى جو الزنا، فما يلبثون أن يطرقوا أبوابه، ويبحثوا عن أجوائه الأكثر فتنة وغواية وتبذلا وفحشا.

وليت الأمر يقف عند هذا الحد. بل أن هذه الأجواء الصاخبة بجريمة الزنا ومتاعه المزيف، ما تلبث أن تتحول إلى بيئة للجريمة من خلال تجارة الرقيق الأبيض كما يقولون. . وذلك أن الزانية قد تصاب بالإدمان، فتتردد على عدد كبير من الهواة للوفاء بمتطلبات الإدمان، أو لا تصاب بالإدمان، ولكنها تصاب بما هو أشر منه، وهو عشق المال وحب الاستكثار منه، فتصنع نفس الصنيع لتسد جوعها إلى المال. . وقد يسيطر عليها قواد من هواتها فتبذل له المال إبقاء على رفقته. وقد لا يسيطر عليها أحد، ولكنها تقع تحت سيطرة القوادين وأشباههم لميزات خاصة فيها فتشذ طباعها، ويتنافس على غوايتها الهواة، ويدفعها القوادون إلى الاستغلال، وربما إلى الجريمة.

ويطول الزمان، ويشتد الألف بين الجريمة والمال وبين الزانيات، ويمعن الزانى

فى طلب التغيير والتبديل، ويصبح ثمن العرض والشرف كسبا مشروعا فى هذه البيئة المنتكسة، وربما علم الزوج بنحلة زوجته وأغمض عينيه، وربما واجهها وحاسبها ورفع حجاب الحياء. واستقر عرفهم على اعتباره نوعا من الكسب لا غبار عليه، ولا خجل منه.

وهذا هو ما وصلت إليه المجتمعات الفقيرة والمترفة على السواء. وعلى اختلاف فى الشكل، واتفاق فى المضمون.

وبيئة واحدة هى التى تبقى على انحرافها سرا مكتوما تلك هى البيئة المتوسطة فى أى أمة من الأمم، وشر ما فى هذه البيئة على هذه الحالة هو الخداع، إذ يعيش كل من الزوجين بين ألوان من الخداع. والتفنن فى الكتمان، وهى على هذا أقرب إلى التوبة والإقلاع من بيئة الفقر والترف، رغم أنها هى التى تزحم محاكم الأحوال الشخصية، كما ترهق العشائر بنزاعاتها الدائمة والمغلفة بأسباب غير الأسباب الحقيقية حتى يألف العرف الحديث فيها.

هكذا يصل الحال بمجتمعات المسلمين. بل هكذا وصل الحال بالفعل، والسبب هو جهل، وإهمال، وتوقر مزيف من بعض الشيوخ والدعاة عما لم يتحرز من الحديث فيه رسول الله ﷺ . وهو من هو عقلا ودينا وفراسة وأدبا وعلما ونظرا بعيدا غاية البعد.

لا ندرى كيف أهمل الكتاب هذا الباب من أصول الاجتماع الإسلامى، وهو الباب الذى تكلم فيه الرسول ﷺ . وتكلم فيه كبار الفقهاء فى موسوعاتهم، وقد أفاض ابن قدامة فى الكلام عن هذا الباب فى كتابه «المغنى» والكاساني فى كتابه «بدائع الصنائع». والنووى فى كتابه «المجموع». ولكن حصول الناس على هذه الكتب غير ميسور إلا للقليل منهم.

أقول وأكرر: أن مجتمعا قويا متماسكا مترابطا بالأخوة الإسلامية لابد أن يبدأ من بيت الزوجية. ولن يكون هذا الترابط بالمودة والرحمة فى بيت الزوجية إلا على أساس من السكن النفسى والجسدى العميق، ولن يكون علم إلا بمواجهة الحقائق دون خجل. ودون حساب لتلك الألسنة السليطة التى لا صناعة لها إلا تناول الجادين أهل البصائر بالقبيح من القول.

لقد استشرى الداء، ووصل الناس إلى ما تحت حضيض الحيوانية والتسفل، حتى شك الرجل فيمن تنجبهم امرأته، وحتى انعدم الترابط بين مجتمع المسلمين، فلنبدأ من جديد، فلعل جيل الشباب الصالح الصاعد يضرب المثل الأعلى فى ربط مجتمعه برباط الأخوة المنطلقة من بيت الزوجية السعيد الساكن.

وأهمس إلى بعض شيوخنا الفضلاء بأن العرف لا يعمل به مع وجود النص، وهم بسلوكهم يعتبرون العرف قائما مع وجود النصوص، وهذا خطأ فى مسلك العلم، فضلا عن أنه أثم فى حق الأمة كلها.

كثيرا ما يكون العرف السائد بين الناس خطرا داهما على المجتمع من حيث لا يشعر الناس.. وما زال العرف الذى يمنع الفتاة من إبداء رأيها فيمن يخطبها سببا فى مشكلات يستعصى حلها.. وكذلك العرف فى إنهاك الحساسية فى عضو التأنيث عند الختان.. والعرف فى زجر الآباء والأمهات لأبنائهم زجرا عنيفا إن هم حاولوا التعرف على لون من ثقافة الجنس فى حدود الإسلام.

وفى هذا الحديث الصريح الإسلامى فى نصه وروحه نتحدث إلى:

١ ـ دعاة الإسلام والمفكرين فى قضاياه أن ينقذوا المجتمع من شرور الحياء الزائف، والوقار الذى نلمس له دلالات أخرى غير دلالات الوقار. نهمس إليهم أن يقتدوا بالرسول ﷺ، وبأمهات المؤمنين.

٢ ـ بقايا العقلاء بين الجيل المتقدم سنا من المسلمين أن يرحموا أبناءهم وبناتهم من الضياع والجريمة.. فالآلاف المؤلفة من المحترفات. والآلاف المؤلفة من الهواة، كلهم من نتاج تربية هذا الجيل. ولهم آباء وأمهات أو أزواج وأخوة يعيشون بين هذا الجيل.

٣ ـ الجيل الجديد من الشباب الإسلامى بنين وبنات.. فعلى هذا الجيل وحده فى الحقيقة تقوم صحوة الإسلام ونهضته فى كل أرجاء العالم الإسلامى ـ فهو جيل يتكاثر من الجنسين يوما بعد يوم. وهو جيل ملتزم مخلص لله ورسوله. ومن خلاله نرجو أن يعود إلى البيت المسلم سكنه ومودته ورحمته. ومن ثم إلى العالم الإسلامى كله فى عصر تمزقت بسبب أخطائه كل الروابط إلا روابط

الدعارة والترف الحيوانى الجاهل. وإلا روابط العفن العقلى الذى أصبح مفخرة من مفاخر هذا الجيل، حتى جد العالم فى تقدمه إلى الأمام، وجد عالم الإسلام فى تأخره إلى الخلف، وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨].

أقول: إن شباب الإسلام البهيج من الجنسين ظاهرة مرادة من الله تعالى لاستعادة مجد الإسلام. فلا علينا أن نزوده بالصريح من الإرشاد الذى رفضه الآباء فكان ما كان.. وعسى أن تحيا شريعة الله فى هذا الباب الحرج من أبوابها لله وفى الله.

إن الشباب الإسلامى يصحو ويتكاثر. ويتواصى بالتكاثر. ويتعاون على الالتزام، ثم لا يجد من جيل العفن والترف الحيوانى سوى السخرية والاستهزاء، ولكن المستقبل الزاهر بإذن الله لهذا الشباب[١].

*****

(١) من كتاب اللقاء بين الزوجين للشيخ عبد القادر أحمد عطا.

زواج مسلمات

زواج ابنة سعيد بن المسيب

كان عبد الله بن وداعة ممن يتلقون العلم على يد سعيد بن المسيب وحدث أن تأخر عن الدرس أيام ثم حضر كعادته فسأله سعيد عن سبب تخلفه فأجابه بأن زوجته توفيت فشغل بأمرها واستمر سعيد فى درسه وبعد أن انتهى هم عبد الله بالانصراف فناداه سعيد وقال له. . هلا تزوجت؟ فقال عبد الله. . يرحمك الله تعالى ومن يزوجنى وما أملك درهمين أو ثلاثة قال سعيد أنا أزوجك ثم زوجه ابنته.

فقام عبد الله وانصرف إلى منزله وبينما كان يتناول طعام الإفطار خبزا وزيتا حيث كان صائما وإذا بالباب يقرع فخرج عبد الله وإذا سعيد بن المسيب فقال عبدالله يا أبا محمد لو أرسلت إلى لأتيتك قال سعيد بل أنت أحق أن أسعى إليك إنك كنت رجلا عزبا فتزوجت هاهى ذى امرأتك فأخذها من يدها وأمرها بالدخول ثم انصرف.

ففرح فرحا عظيما ثم دخل بها إذا هى أجمل النساء وأحفظ الناس لكتاب الله وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ بحقوق الزوجية وما أن أصبح الصباح حتى أخذ عبد الله رداءه يريد الخروج فقالت له أين تريد؟ قال إلى مجلس أبيك سعيد أتعلم العلم فقالت له اجلس أعلمك علم سعيد فمكث شهرا على هذا الحال. لا يأتى سعيد ولا يأتيه ثم حضر حلقة العلم وبعد انتهاء الدرس سلم عليه سعيد ثم قال له ما حال هذا الإنسان يريد الزوجة. . قال عبد الله بخير يا أبا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو.

قال سعيد إن رأيت منه أمرا فأدبه ثم انصرف كل إلى منزله وما كاد يستقر عبد الله فى داره حتى جاءه إنسان من قبل والد الزوجة يحمل هبة مالية ليستعين بها معيشته مع زوجه، هذه ابنة سعيد بن المسيب على ما هى عليه من جمال الخلقة وكمال الخلق ورفيع النسب والحسب وعلى مكانتها فى الدين والعلم وعلى منزلتها فى النعمة والميسرة يزوجها أبوها لتلميذه عبد الله بن وداعة وقد خطبها أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان لابنه الوليد فرفض سعيد أن يزوج ابنته من أمير عظيم

ذى قوة وسلطان وعز وجاه.. زوجها رجلا فقيرا ما كان لديه ما يفطر به وهو صائم غير الزيت والخبز ولا يزيد ما يدخره عن درهمين أو ثلاثة اعتمادا على كفالة الله للرزق وضمانه للعون: ﴿**ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب**﴾.

* * *

زواج زينب بنت جرير

تزوج شريح بزينب ابنة جرير إحدى نساء بنى حنظلة وحدث الشعبى عن نفسه قائلا.. فلو رأيتنى وقد أقبل نساؤهم يهدينها حتى أُدخلت على فقلت أن السنة إذا دخلت المرأة على زوجها أن يقوم فيصلى ركعتين فيسأل الله من خيرها ويعوذ به من شرها قائلا: «اللهم إنى أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه» فصليت وسلمت فإذا هى خلفى تصلى بصلاتى فلما قضيت صلاتى وخلا البيت دنوت منها ومددت يدى إلى ناحيتها فقالت.. على رسلك يا أبا أمية كما أنت ثم قالت.. الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلى وأسلم على محمد وآله إنى امرأة غريبة لا علم لى بأخلاقك فبين لى ما تحب فأتيه وما تكره فأبتعد عنه وقالت.. إنه قد كان ذلك فى قومك منكح وفى قومى مثل ذلك ولكن إذا قضى الله أمرا كان.. وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله به.. إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولك.. قال.. فأحوجتنى والله يا شعبى إلى الخطبة فى ذلك الموضع فقلت الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلى وأسلم على النبى وآله.

وبعد.. فقد قلت كلاما إن تثبتى عليه يكن ذلك حظك وإن تدعيه يكن حجة عليك.. أحب كذا وأكره كذا ونحن سواء فلا تفرقى.. وما رأيت من حسنة فانشريها أو سيئة فاستريها.. وقالت.. شيئا لم أذكره.. كيف محبتك لزيارة الأهل؟ قلت.. ما أحب أن يملنى أصهارى.. قالت.. فمن تحب من جيرانك أن يدخل بيتك آذن له ومن تكرهه؟ قلت.. بنو فلان قوم صالحون وبنون فلان قوم سوء.. قال.. فبت يا شعبى بأنعم ليلة ومكثت معى حولا لا أرى إلا ما أحب.

قصة زواج أم الإمام الشافعى
«رضى الله عنه وأرضاه»

فى يوم من ذات الأيام مر رجل بنهر فوجد على جانب النهر تفاحة وكان قد اشتد به الجوع، فأخذ التفاحة بلهفة وأكلها، وبعد أن انتهى من أكلها أخذ يفكر ثم قال فى نفسه من أين جاءت هذه التفاحة؟.. فنظر عن يمينه ويساره فوجد بستان، فقال: لعل التفاحة من هذا البستان.. ولما ذهب إلى البستان.. أيقن أن التفاحة منه لأنه رأى شجر التفاح وهو يطل من البستان على النهر، فسرعان ما ذهب إلى البستان فوجد هناك رجل.. فقال له إنى أطلب منك السماح لأننى أكلت تفاحة من هذا البستان قد وقعت فى النهر فقال له الرجل لا أسطيع أن اسامحك لأن هذا البستان ليس لى.. وإنما أنا حارس له.. فقال له دلنى على صاحب البستان فوصف له مكان صاحبه وكان المكان بعيدا عن البستان بمسافة كبيرة فذهب إلى صاحب البستان وقال له: جئتك من مكان بعيد كى تسامحنى بعد أن قص عليه ما حدث. فقال له صاحب البستان.. أنا على استعداد للمسامحة.. ولكن بشرط. فقال له الرجل.. وما هذا الشرط؟.. فقال صاحب البستان الشرط هو أن تتزوج ابنتى، مع العلم أن ابنتى عمياء.. وصماء.. وبكماء.. مقعدة.

فقال الرجل فى نفسه.. ما هذا الذى وقعت فيه؟!.. أمن أجل تفاحة أكلتها أتورط فى زوجة عمياء وصماء وبكماء ومقعدة؟؟.

ولما أصر صاحب البستان على هذا الطلب.. فقام الرجل فصلى ركعتين استخارة لله عز وجل.. ثم وافق على الزواج منها كى يسامحه وحتى يكون قد أكل التفاحة حلالا ولم يدخل فى معدته شيئا حرام. ثم دخل على زوجته فى حجرتها.. فقال لها: «السلام عليك يا أمة الله».. فأجابت قائلة: «وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته».. فقال هذا اثنان «سمعت وتكلمت».. فطلب منها أن تصلح المصباح.. فقامت ومشت.. فقال: هذان اثنان «مشت وأبصرت».. فلما أصلحت المصباح نظر إلى وجهها فإذا هو كالبدر ليلة تمامه.. فحمد الله

وأثنى عليه.. فلما فرغ من حمد الله والثناء عليه.. أثنت هى الأخرى على الله وحمدته.. ثم قال لها.. لماذا قال لى أباك أنك صماء وبكماء وعمياء ومقعدة؟..
فقالت لقد صدق أبى.. أما أننى صماء فصماء عن الحرام لم أسمع بأذنى ما يغضب الله عز وجل.. وأما أننى بكماء فبكماء عن الحرام لأننى لم أتكلم فيما يغضب الله عز وجل.. وأما أننى عمياء فعمياء عن الحرام.. لأننى لم أرى ببصرى ما يغضب الله عز وجل.. وأما أننى مقعدة فمقعدة عن الحرام لأننى لم أمش فيما يغضب الله عز وجل!!

فقرت بها عينه.. وأنجب منها الإمام الشافعى رضى الله عنه وأرضاه.

*****

*وصية أب لابنته:

بنيتي اعلمي: أن هناءك مرتبط ارتباطا متينا بهناء زوجك بحيث لا مهرب لأحد كما من أن يكون سبب سعادة الآخر أو عله شفائه فاحذرى أول نفور يحدث بينك وبين زوجك فلربما يتبعه نفور آخر إلى ما لا نهاية له، أطيعى زوجك جهد استطاعتك واجتنبى الهزؤ والسخرية وإياك والمغالاة فى الغيرة فإنها مفتاح الطلاق وإياك وكثرة العتب فإنه يورث البغضاء، حافظى على صحتك وتجنبى ما يشوه نضارة الوجه من الأصباغ المغرية، احملى بكل بسالة ما يجب عليك حمله واعلمى أن الشؤون الخارجية هى من خصائص زوجك أما الداخلية فتخصك أنت، نظمى شؤونك المنزلية ولا تطلعى أحداً على أسرارك، لا تفضى رسائله بدون إذنه أو تلحى عليه فى معرفة ما لا يريد إخبارك به، احفظى لنفسك أسباب اختلافك معه ولا تجعلى الغير يطلع عليها، اعلمى أن كل رجل لطيف يقدر المرأة التى عندها من الكياسة وحسن الذوق والسياسة ما يجعلها تكتم فى صدرها معظم الشكوى ولا تقلقه بأن تكرر على مسمعه كل حديث من المسائل البيتية الصغيرة التى تضايقه وأن تحافظى على شكلك النسوى وتتجنبى التشبه بالرجال لتبقى متصفة بخصائص المرأة ومميزاتها ولتعلمى أن الزوج يحب أن تكون زوجته فى داره كالشمس فى سمائها لا يحجبها من العبوسة سحاب قائم، احتفظى بهذه النصائح وطالعيها على الأقل كل شهر واذهبى بسلام واستودعك الله.

* أعرابية تنصح ابنتها:

قالت أعرابية لابنتها ليلة زفافها.. أى بنية إنك قد فارقت بيتك الذى منه خرجت وعشك الذى منه درجت إلى وكر لم تعرفيه وقرين لم تألفيه فكونى له أمة يكن لك عبدا واحفظى له عشر خصال يكن لك ذخراً، أما الأولى والثانية: فالصحبة والقناعة والمعاشرة بحسن السمع والطاعة، وأما الثالثة والرابعة: فالتعهد لموقع عينه والتفقد لموضع أنفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم منك إلا

أطيب ريح والكحل أحسن الحسن والماء والصابون أطيب الطيب المفقود، وأما الخامسة والسادسة: فالتفقد لوقت طعامه والهدوء عند منامه فإن حرارة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة وأما السابعة والثامنة: فالعناية ببيته وماله والرعاية لنفسه وحشمه وعياله وملاك الأمر فى المال حسن التدبير. وأما التاسعة والعاشرة: فلا تفشين له سرا ولا تعصين له أمرا فإنك إن أفشيت سره لم تأمنى غدره وإن عصيت أمره أو غرت صدره ثم اتق مع ذلك الفرح إن كان غاضبا والاكتئاب عنده إن كان فرحا فإن الخصلة الأولى من التقصير والثانية من التكدير - وكونى أشد ما تكونين.له إعظاما يكن أشد ما يكون لك إكراما وأشد ما تكونين له موافقة يكن أطول ما تكونين لك مرافقة وإعلمى أنك لا تصلين إلى ماتحبيه حتى تؤثرى رضاه على رضاك وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت والله يجير لك.

*****

حماية الحياة الزوجية

عمل الإسلام على حماية الزوجية من الفرقة وذلك بما اشتمل عليه بالنسبة لها.. أوصى باختيار الزوجة واختيار الزوج وقد نقلنا وصايا للنبى ﷺ فى ضرورة الأختيار الحسن وألا يجعل جمال الزوجة هو الأساس ولا مال الرجل هو المعتبر بل يكون الزواج على الدين والأخلاق فهما اللذان تبقى بهما الحياة الزوجية.

ولكى يكون اختيار الزوجة لزوجها اختياراً حسنا ومن الأفضل أنها لا يصح لها أن تنفرد باختيار الزوج فيكون لأوليائها من أب أو جد أو أخ الحق فى التدخل عند اختيار الزوج من غير أن يرغماها على زوج معين إذا كانت بالغة عاقلة ولكن ليس لها أن تنفرد دون رأيهم وإذا امتنع الأب أو الأخ عن الموافقة مع كون الزوج المختار لا عيب فيه وأراد بالامتناع مضايقتها كان لها أن تطلب من القاضى أن يتولى الزواج. وقد احتاط الإسلام فى تكوين الأسرة فأوجب أن يكون الزوج كفئا لزوجته فإذا كان خسيسا لم يكن كفئا لها وذلك لأن الزواج علاقة بين أسرتين وليس علاقة مجردة بين شخصين ولذلك وجب أن يكون الزواج مكافئا لأسرة الزوجة لكى تدوم العشرة بينهما والزواج الذى لا يكون فيه الزوج مكافئاً لإسرة الزوجة سريع الزوال ولهذا احتاط الإسلام لبقاء المودة بين الزوجين فأوجب تحكيم الحكمين عند كل خلاف ينشب بين الزوجين أيا كان سبب الخلاف ولذلك قال الله تعالى: ﴿**وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما**﴾.

وأن ذلك بلا شك يعيد المودة إلى أصلها إن كانت قابلة للإعادة وألا يفرق بينهما وذلك لأن كل سير فى الدعوى سواء كانت طاعة من شأنه أن يزيد الخلاف حدة وأن الحكمين عليهما أن يصلحا فإن عجزا عن الإصلاح كان عليهما أن يبينا أى من الزوجين هو سبب النفرة بينهما فإن كان السبب هو الزوجة فلابد أن الزوج

يكون فى غاية من الصبر وإذا كان الزوج هو سبب الخلاف فعلى الزوجة أن تكون فى غاية من الصبر وهنا يقول الرسول ﷺ : «**من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلائه، ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله مثل ثواب آسية امرأة فرعون**».

واحتاط الإسلام للأسرة فأوصى بأن تحافظ المرأة عليها وأن يرعاها الرجل حق رعايتها وقد قال النبى ﷺ : «**الرجل راع فى أهله ومسؤول عن رعيته والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها**».

*****

التشاؤم من الزوجة

يتشاءم بعض الأزواج من المرأة إذا أصيبوا بكارثة أو حلت بهم نازلة بعد الزواج ويسخطون على الزواج ويلعنون الحياة الزوجية ويسبون من كان السبب فى الزواج اعتقادا منهم أن الزوجة هى مجلبة الشر والأذى ثم يسعون فى تطليقها بدون جريمة ارتكبتها أو إثم اقترفته.. وديننا الإسلامى الحنيف يحارب الشؤم والتشاؤم ويدعو دائما إلى التفاؤل، الشؤم حقا فى ارتكاب المعاصى والآثام والخير فى الاستقامة وطاعة الله والتمسك بسنة رسول الله ﷺ قال الله تعالى **﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾** وقال النبى ﷺ **«ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا أذى حتى الشوكة يشاكها إلا بذنب ارتكبه وما يعفو الله عنه أكثر»** وفى رواية **«إلا حط به من خطاياه»** وقال رسول الله ﷺ **«عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خير له»**.

وقد ذكروا أن رجلا حلف بالطلاق أن لا يدخل على زوجته إلا فى يوم مشؤوم فسأل جماعة من العلماء عن ذلك فأفتوه بوقوع الطلاق لأن الأيام كلها مباركة إلا عالما محنكا خبيرا بأمور الدين وشؤون الحياة قال له هل صليت الصبح؟ فقال.. لا.. قال العالم.. فادخل عليها فإنه يوم مشؤوم عليك» فما يصيب الزوج من المصائب أنما هو بشؤم ذنوبه وسوء ضميره وقسوة قلبه وفساد نيته وخلقه.

وربما كان تكفيرا لخطاياه أو رفعا لدرجاته عند الله تعالى وما عليه أكثر الناس من التشاؤم ما هو إلا أوهام وخرافات جاهلية لصقت بأذهانهم نتيجة إعراضهم عن ربهم وانصرافهم عن تعاليم الإسلام الحنيف.

أيها الأخ المسلم ماذا رأيت من المرأة حتى تسعى إلى تطليقها وماذا جناه الولد حتى تطرده من البيت وتحرمه حنان الأبوين وعطفهما وما ذنب البيت حتى تهجره أو الزمن حتى تسبه وتلعنه.. اطرح التشاؤم خلف ظهرك وأمسك عليك زوجك وابق ولدك فى حجرك ولا تهجر دارك ولا تتشاءم وتفاءل دائما وأشعر قلبك بالسعادة والرضا عن الله تعالى فيما قضى وقدر واحفظ نفسك وأهلك من المعاصى وأطع ربك فيما أمرك به تعش آمنا مطمئنا سالما فى دينك ودنياك.

هن لباس لكم وأنتم لباس لهن

إن الأنثى خلقت من ضلع الذكر فى الإنسان كما قرر الرسول ﷺ تفسيرا لخلق الزوجة من نفس الرجل فى القرآن، فقد أصبحت جزءا منه، مخلوقا من نفسه، وقد اقتضى هذا الانفصال حنينا دائما من كل منهما نحو الآخر، وشوقا إلى الاتحاد به اتحادا كليا يعود به سيرته الأولى، بحيث لا يحس أحدهما بأنهما اثنان، بل يتحدان فى شخص واحد، وغيبوبة كاملة عن الثنائية فى قلب واحد.

هذا هو السكن المنشود من زوج وزوجة فى بيت الزوجية الشرعى،

وقد فطن ترجمان القرآن عبد الله بن عباس إلى هذا المعنى فقال فيما أخرجه البيهقى فى الشعب، وابن أبى حاتم الرازى: «خلقت المرأة من الرجل فجعلت نهمتها فى الرجل، فأحبوا نساءكم، وخلق الرجل من الأرض، فجعلت نهمته فى المرأة وفى الأرض.

وقد أضاف الإمام ابن عباس عمقا جديدا فى المعنى حين قرر تعلق الرجل بالأرض مع تعلقه بالأنثى، وفاء لما ألزمه الله به من القوامة على الأنثى، واحتوائها، وحمايتها من السقوط.

فالسكن من السكون، والسكون ضد الاضطراب، والاضطراب إنما يكون فى الجسد والنفس والعاطفة والعقل، والزوجية شرعت أساسا لسكون الكيان الإنسانى من الاضطراب والهوس الاكتئابى الناشئ عن الحرمان أو النقص، ولا يكون ذلك إلا بالأداء الجنسى الكامل بين زوجين يحب كل منهما الآخر.

وقد يقول قائل: ما دامت المسألة قاصرة على التفريغ الجنسى فإن السكون من الاضطراب قد يتحقق بأداء جنسى مع فاجرة عابرة. أو مع خليلة دائمة. ونقول: لقد فات قائل هذا القول أن يستوعب عناصر السكون والاستقرار. فالسكن الزوجى عبارة عن: تفريغ جنسى مقترن بالحب.

وشعور بالأمن وعدم الخوف، ويقين بدوام إقامة الأنثى مع الرجل فى كل حال وفى كل وقت، وإحساس بتسامى العواطف وبعدها عن الانتهازية والتزييف.

ولا يمكن أن تتحقق هذه العناصر مطلقا فى فاجرة عابرة أو فاجر عابر، ولا فى خليلة دائمة أو خليل دائم.. فمهما كانت العلاقة الجنسية كاملة فى الحالات المؤقتة، فإن مجرد الشعور بأن كلا من الرجل والمرأة مفارق لصاحبه إلى رجل آخر أو إلى امرأة أخرى يصيب النفس بنوع كئيب من الردة عن سعادتها أو نوع قد يكون قاتلا من الغيرة أو الحقد يهدم كل ما جناه من سعادة آثمة.

والخليلة المقيمة والخليل المقيم لا يعطى أحدهما الآخر سكنا ولا استقرار، لأن تلك العلاقة مهما طالت فإنها محفوفة بالخوف من المجتمع، مهددة بفساد العلاقة وتحولها من المودة والرحمة إلى الابتزاز والخداع واللؤم والنفعية، وهذا وحده كفيل بهدم روح الاستقرار فى النفس، مع عدم الشعور بوثاقة الرابطة بينهما، لأن هذا النوع من الناس ذواق للمتعة لا يستقر على حال.

أما الزوجية الشرعية فإن شعور كل من الزوجين بالارتباط الشرعى إلى جانب الحب والأمل فى الأبناء وبناء الأسرة كفيل بالسكون والأمن والاستقرر فى كل حال من أحوال الحياة.. فالحياة الزوجية بحق هى الكفيلة بالإرواء الكامل الذى يحقق التوازن الداخلى فى الإنسان، وهو المراد بالسكن.

أما اللباس فهو أشمل وأعم من العلاقة الجنسية فى ذاتها.

فالشوق الصارخ فى أعماق كل من الزوجين لصاحبه رغم أنه مدفوع بالشوق الجنسى، فإنه كذلك مدفوع بمثيرات الشوق الجنسى من كل من صفات الرجل والمرأة فى الجسد والصوت وفى كل ما يفصح عن كمال الرجولة والأنوثة من السمات، مما يجعل كل جارحة وكل إحساس فى كل منهما عاشقا لمثله من صاحبه، حتى يصلا إلى قمة الاتحاد عند قمة الشهوة الجنسية.

وأى نقص فى هذا الأداء يماثله نقص فى الاتحاد بينهما، أى أن الاتحاد بينهما يستلزم الإرواء العاطفى الكامل قبل الإرواء الجسدى والجنسى. بل إن الإرواء العاطفى يجب أن يكون ملازما للزوجين أثناء اللقاء وبعده ليتم الإتحاد كما أراد الله.. ومن هنا تبدأ رسالة الإنسان السامية فى اجتهاده وإعمال عقله لتحقيق وحدته، والمحافظة على مجتمعه من عوارض الخلل الناشئ من اختلاف الميول والمدارك، تقليدا للمسخرات التى انتظمت فى حركتها.

فشهوة الجنس وسيلة الاتحاد والسكن، وشهوات الجوارح والعواطف وسائل دعم قوية لهذا السكن والاستقرار، وهى ضرورية لكمال الاتحاد بينهما، وإسكان الشوق الصارخ فى الأعماق، وإيجاد حالة من التوافق صالحة لأن تكون منطلقا لبناء مجتمع متوافق متوازن، يستمد وحدته وتوافقه من هذه الوحدة والتوازن بين الزوجين فى المنطلق الأول وهو بيت الزوجية.

فاللباس شيء زائد عن العلاقة الجنسية فى ذاتها، وهو أن يغمر كلا من الزوجين صاحبه بفيض من عواطفه ورغبته فى الاتحاد به.. وهو فى شعور كل من الزوجين بأنه أخضع الآخر لسلطان إغرائه.. فالرجل يشعر بسعادة غامرة حينما يشعر بأنه استطاع إخضاع المرأة واحتواء كبريائها من خلال اللقاء، والمرأة تبلغ ذروة السعادة حينما تشعر هى الأخرى أنها أخضعت قوة الرجل وسلطاته لأنوثتها، فأصبح فى دائرة احتوائها وقد حققت شخصيتها وكبريائها فى ذاتها، وعوضتها، عن قوامة الرجل عليها.. وليس هذا الشعور موجود عند الحيوان إذا استثنينا الحمير التى يحلو لأنثاها أن ترفس الحمار رفسات موجعة عقب اللقاء، ويحلو لذكورها إصابة الأنثى أصابه دامية كذلك. وجميع الكلاب يحلو لأنثاها إذلال الذكر وتعريضه للمهانة عقب اللقاء فى مقابل إذلالها لمجموعة من الكلاب تتصارع عليها حتى يفوز بها واحد بعد ساعات طوال.

وقد أشار رسول الله ﷺ إلى أن اللباس شيء زائد عن اللقاء الجنسى فى حديث عبد الرزاق عن عثمان بن مظعون أنه قال: يا رسول الله.. إنى لأستحيى أن يرى أهلى عورتى. قال: «**ولم وقد جعلك الله لهم لباسا، وجعلهم لك لباسا**»؟ قال: أكره ذلك. قال: «**فإنهم يرونه منى، وأراه منهم**».

فهنا تقرير: أن اللباس بين الزوجين عبارة عن مجموعة من الأعمال منها: نظر منهما إلى عورة صاحبه ويؤيد ذلك أن لباس كل من الزوجين للآخر فى القرآن جاء عقب تشريع الرفث.. والرفث شيء زائد عن اللقاء الجنسى فى ذاته، فهو شامل لكل ما يريد الرجل من زوجته من الكلام والأعمال المتصلة باللقاء.

أما ابن عباس فإنه فسر اللباس بنهايته، فقال فيما أخرج ابن جرير والحاكم والفريابى وابن أبى حاتم فى تفسير اللباس: «**هن سكن لكن وأنتم سكن لهن**».

وأخرج الطستى أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس عن معنى اللباس فى الآية فقال: «**هن سكن لكم وأنتم سكن لهن، تسكنون إليهن بالليل والنهار**». وهى متعة المؤانسة بالحديث والعواطف المتبادلة وإرواء الجوارح والنفس. قال نافع: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم. أما سمعت نابغه بنى زبيان يقول:

إذا ما الضيع ثنى عطفها   تثنت عليه فكانت لباس

فمعنى ابن عباس بمعنى اللباس بعيد عن المؤانسة والنظر إلى الالتصاق الجسدى على حال من أحواله التى تذهب باضطراب النفس، وتمنحها السكون والاستقرار والحماية من غائلة الحرمان، حتى ولو كان هذا الالتصاق بعيدا عن المباشرة الجنسية، كما كان رسول الله ﷺ يفعل مع أمهات المؤمنين فى حالة الحيض.

فإذا أضفنا أن الرسول ﷺ حث أصحابه وأمته على ملاعبة زوجاتهم ومضاحكتهم وكلامهم فى أمور العلاقة الجنسية قبل المباشرة، ولم يجعله من اللهو المحرم، ونهى عن أن يقع الرجل على امرأته كما تقع البهيمة، علمنا أن اللباس المتبادل بين الزوجين هو ستر ما يحدث بينهما من أعمال قد يمقتها من نفسه ومن غيره فى غير حالة الخلوة الزوجية، ولكنها أعمال تضفى على كليهما لباسا غامرا من النشوة السعيدة، وتهيئة لمباشرة جنسية مستغرقة فى اتحاد بين قلبين وجسدين وروحين، وهو السكن المنشود فى شريعة الإسلام. . وما تلك الأعمال فى ذاتها إلا الرفث الذى أباحه الله لعباده وسنه الرسول لأمته، ولكن المتنطعين الجهلاء يريدون أن يخربوا مجتمع المسلمين، ويضربوه بالأمراض النفسية المستعصية ليقال: أنهم أهل حياء، وأهل ورع، وأهل زهد فى شهوات النساء التى زينها الله لعباده ولم يحبوها من تلقاء أنفسهم.

أن المتنطع من متنطعينا إذا قيل له: أن قبلة الزوجة أمر مشروع فإنه يقبلها كما يقبل رغيف العيش يرفعه من الطريق العام. قبلة باردة خاطفة لا حرارة فيها ولا روح، يريد منا أن نعرفه بذلك فنذيع أنه رجل زاهد صاحب حياء، وهو أبعد الناس من الحياء ومن الزهد جميعا، لأنه راغب فى الشهرة والسمعة على حساب مجتمع الإسلام ودعوة الإسلام.

إن الأرواء العاطفى هو اللباس بين الزوجين، وهذا الإرواء يكون على أى

صورة تهفو إليها العاطفة، فلا حرج على زوجين أبيح لهما مناط الشرف فى كل منهما أن يستمتعا بأجسادهما ويبث كل منهما أخاه عواطفه بالصورة التى يهواها.

وقد كان رسول الله ﷺ كثير التقبيل لنسائه، وقد روى الأحناف وصححوا أنه ﷺ كان يقبل بعض نسائه ثم يقوم للصلاة، كما ثبت أنه كان يمص لسان عائشة رضى الله عنها عند الإمام ابن القيم. وأنه كان يضع فاه على موضع فم عائشة فيما تأكله من اللحم، وكل ذلك يؤكد أن اللباس هو لباس العاطفة يغمر كل من الزوجين بها صاحبه، ويتخذ لتأجيج شعلتها كل الوسائل والأعمال التى تخطر بباله استمتاعا حلالا مباحا ينتهى إلى أعظم عمل بناء فى الإسلام إلا وهو بناء مجتمع الجسد الواحد.

*** ونخلص من هذا كله إلى نتيجتين:**

الأولى: أن اللباس المتبادل بين الزوجين هو: مجموعة من التعبيرات العاطفية القولية والعملية، ابتداء من الكلمة، إلى القبلة، إلى حرية النظر إلى ما يحب كل منهما من الجسد، إلى التحسس، إلى الالتصاق الجسدى، حتى المباشرة الجنسية.. ولا يتحقق اللباس شكلا ومضمونا إلا إذا اقترن بهذه الأعمال تفريغ عاطفى متبادل بينهما، بحيث يغمر كل منهما الآخر وكأنه يضفى عليه لباسا من العاطفة الغامرة، يبدأها الزوج، وتجاوبه الزوجة، حتى ينتهيا إلى غيبوبة الاتحاد بينهما فى قمة العلاقة الجنسية.. وهنا يكون كل منهما قد لبس صاحبه فى متعة غامرة.

وقد يكون اللباس العاطفى منفصلا عن اللباس الجنسى، فهذا أمر سائغ مقبول ومحبوب لا سيما من النساء، ولكن المبغوض لأكثر النساء وبعض الرجال من أن يكون هناك لباس جنسى بلا لباس عاطفى غامر وسابغ. فهذا عمل تكرهه الكثيرات من النساء ويقبل عليه الكثير من الرجال. فالكثيرات من النساء لا يرتوين بالعلاقة الجنسية المنفصلة على الارواء العاطفى، وكذلك بعض الرجال يكرهون البرود العاطفى فى الأنثى، وحينئذ تفتقد العلاقة الزوجية لباس العاطفة، ولا تكفى العلاقة الجنسية، وهذا هو سر اكتئاب الزوجات أو الأزواج واضطراب تفكيرهم وحياتهم.. بل ربما بحث الساخط منهما عن شريك محرم يعمل ما نقص عنده، وكما قلنا: لن يكون إرواء مستقرا من أى علاقة محرمة.

وبعض الأزواج يسعدون بما يشتركون فيه من برود العواطف، والاكتفاء بالعلاقة الجنسية العابرة، وذلك لضعف فى وجدانهم وخيالهم وبنائهم العاطفى.

الثانية: إن نتيجة اللباس المتبادل بين الزوجين إذا استوفى الشروط التى سنعرض لها فى الفصل التالى هى: سكون النفس والعقل والقلب والروح من كل الاضطرابات الجسدية والنفسية والعقلية الناشئة عن الكبت، وتوازن العواطف مع العقل بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر، ومن ثم يتوازن الإنسان فى فكره فلا تحركه العواطف، وتتوازن عواطفه فلا يجمدها العقل المجرد.

أى أن الإنسان المسلم فى هذه الحالة يصبح إنسانا بريئا من جمود العقل وهو العاطفة.. ويصبح تفكيره ممزوجا بقدر مناسب من العاطفة يخرجه من دائرة التنطع والتجمد، كما تصبح عواطفه ممزوجة بقدر من العقل يخرجها عن دائرة الاندفاع الأهوج.

ومما تجدر الإشارة إليه أن كمال الإرواء العاطفى والجنسى إنما هو فى شعور الزوجة برجولة زوجها، وشعور الزوج بأنوثة زوجته، فإذا اهتزت رجولة الزوج فلا لباس ولا إرواء، ولا يسمى مثل هذا الرجل زوجا عند النساء، بل يسمى حمارا يركب.

وقد أورد الزبيدى فى «اتحاف السادة المتقين» أن نساء العرب كن يعاملن بناتهن اختبار الأزواج. كانت الأم تقول لابنتها: اختبرى زوجك قبل الإقدام والجراءة عليه. انزعى زج رمحه (أى سنانه) فإن سكت فقطعى اللحم على ترسه، فإن سكت فكسرى العظام بسيفه، فإن سكت فاجعلى الأكاف (البردعة) على ظهره وامتطيه. فإنما هو حمارك لا زوجك.

ومن هنا كانت وصية عمر رضى الله عنه للرجال جامعة بين حسن الخلق ولين العشرة والاحتفاظ بكمال الرجولة إذ يقول: «ينبغى للرجل أن يكون فى أهله مثل الصبى، فإذا التمسوا ما عنده وجدوه رجلا»[1].

---

(١) كتاب اللقاء بين الزوجين للشيخ عبد القادر أحمد عطا.

الشكـــوى لله وحــــده
حفاظا على الزوجية

يسىء كثير من الأزواج إلى زوجاتهم بشكواهن للقريب والبعيد والحبيب وغفلوا من أن الشكوى لغير الله أكبر دليل على ضعف إرادة الرجل وعجزه عن إصلاح ما بينه وبين زوجته فضلا عن أن هذه الشكوى تؤلم المرأة كثيرا لإطلاع الزوج أقارب الزوجين على الحالة الداخلية التى ينبغى ألا تتسرب خارج المنزل بأى حال من الأحوال وحينئذ تصب المرأة كل غضبها وتسلط أذاها عليه وتسىء إليه ما أمكنها الإساءة.

إن انحراف المرأة عن الصواب فى كثير من الحالات أمر لا مفر منه وصدق رسول الله ﷺ حيث قال: «**اطلعت على أهل النار فإذا أكثر أهلها النساء**» فقيل.. لم يا رسول الله؟ فقال «**لأنهن يكثرن اللعن ويكفرن العشير**» وكم من رجل يقاسى من تسلط زوجته عليه وبغيها وعدوانها ما لا تتحمله الجبال وهو يساليها ويداريها ويضاحكها ويظهر لها كل حب ليأمن على نفسه من شرها ويصبر على ضرها محتسبا ما أصابه عند الله تعالى متمثلا ما ورد «**لو أطلعتم على الغيب لاخترتم الواقع**» ويعمل بقول رسول الله ﷺ «**من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلائه، ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله مثل ثواب آسية امرأة فرعون**».

وجاء رجل إلى عمر بن الخطاب يشكو إليه خلق زوجته فوقف ببابه ينتظر فسمع امرأة عمر تستطيل عليه بلسانها وعمر ساكت لا يرد فأنصرف الرجل قائلا إذا كان هذا حال أمير المؤمنين فكيف حالى، فخرج عمر فرآه موليا فناداه ما حاجتك؟ فقال يا أمير المؤمنين جئت أشكو إليك خلق زوجتى واستطالتها علىّ فسمعت زوجتك كذلك فرجعت وقلت إذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالى فقال عمر: إنى احتملتها لحقوق لها علىّ أنها طابخة لطعامى خبازة لخبزى غسالة لثيابى مرضعة لولدى وليس ذلك بواجب عليها ويسكن قلبى بها عن

الحرام لذلك فأنا احتملتها فقال الرجل: يا أمير المؤمنين وكذلك زوجتى فقال عمر: فاحتملها يا أخى فإنها مرة يسيرة فلا تشكُ زوجتك لأحد وإذا كان لابد من الشكاية فلتكن لله رب العالمين أما سمعت قول العابد الصالح ﴿**إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله**﴾ صدق الله العظيم.

إلا إذا نشب خلافا بين الزوجين أيا كان هذا الخلاف، فقد احتاط الإسلام لبقاء المودة والرحمة بين الزوجين فأوجب تحكيم الحكمين للقيام بالصلح بين الزوجين ولذلك قال تعالى: ﴿**وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما**﴾.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

*****

فهرس المراجـــع

١ ـ تفسير الزمخشرى

٢ ـ القرآن وجماع النسوان للإمام السيوطى.

٣ ـ صيد الخاطر لابن الجوزى.

٤ ـ العنوان فى سلوك النسوان للمتقى الهندى.

٥ ـ شفاء العليل فيما يعرض للإحليل للإمام السيوطى.

٦ ـ المحلى لابن حزم.

٧ ـ إعلام الموقعين لابن القيم الجوزى.

٨ ـ تفسير شرح الجمل على الجلالين.

٩ ـ أحكام القرآن للقاضى أبو بكر بن العربى.

١٠ ـ الجامع لأحكام القرآن للقرطبى.

١١ ـ تفسير المنار لمحمد رشيد رضا.

١٢ ـ تفسير ابن عباس.

*****

فهرس الكتاب

*****

مطبعة جزيرة الورد
المنصورة ـ نوسا البحر
٠٥٠/٤٤١١٩١